ترجمة النَّصّ الفلسفى عند عثمان أمين (١٩٠٨-١٩٧٨)

د. مصطفى لبيب عبد الغنى(*)

يَظْهَرُ التزامُ المترجم وتقديرُه المَبدئى لدورِه الفعَّال فى تحقيق التواصلِ بين الثقافات العالمية فى حُسْنِ اختيارِه للنصوصِ المَجيدةِ المُعَلِّمةِ والتى يكون مِنْ شأن ترجمتها استثارةُ الأفكار وخَلْقُ مناسباتٍ للحوار الجاد. ولكَمْ كان عثمان أمين مُوَفَّقًا، وهو يُقْدِمُ علَى ترجمةِ "التأملات الميتافيزيقية" التى تُعَدُّ من روائع المؤلفاتِ الفلسفية على الإطلاق، ومِن أهم أجزاء الفلسفةِ الديكارتية وأجدرها بالاعتبارِ". فليس مؤلفها فيلسوفًا بين فلاسفة كُثُرٍ، لكنه أبو الفلسفة الحديثة، وفاتحةُ عَصْرٍ جديدٍ مَن عُصورِ العقلِ والحُرِيَّةِ، ومؤسسٌ لتيارٍ لا يزال له فى الفكر الإنسانى حضورُه القوىُ.

لم تكن مصادفةً، إذن، أن تطول صُحْبة عثمان أمين للفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت، مؤسس الفلسفة الحديثة فى القرن السابع عشر، وللفيلسوف الألمانى إمانويل كانط رائد التنوير فى القرن الثامن عشر ومؤسس الفلسفة النقدية التى حَكَمت تطورَ الفكر الفلسفى مِن بعدُ. على أنَّ المُتابِعَ لمسيرةِ عثمان أمين الفلسفية يَعْرِفُ اطِّلاعَه الواسعَ كذلك على مُجْمَلِ تاريخ الفلسفة عند أعلامها البارزين، ويُقَدِّر وَقْفَتَه المتأنِّيَةَ، على وَجْهِ الخصوص، مع فلسفة فِشْتة وهيدجر وياسْبَرْز فى ألمانيا وعلى فلسفة هيوم وفرديناند سكوت شيلَر وبرتراند رَسِل فى إنجلترا، أما اهتمامُه بالفلاسفةِ الإسلاميين فأمرٌ ملحوظ. وكان عثمان أمين يُؤثر على الدوام أن تَنْعَقِدَ بين دارسِ الفلسفةِ وبين موضوعه عَلاقةُ "تعاطفٍ عَقْلِىّ". ولكمْ كُنَّا – نحن تلاميذه – شهودا على فَرَحِه الكبيرِ وغِبْطَتِه العميقةِ وهو يَجُولُ بنا فى الدروب الوَعِرَةِ للفلسفةِ الديكارتية والفلسفة الكانطية، أو عندما يأتى على ذِكْرِ الفارابى أو عَلَى ذِكْرِ محمد عبده ومحمد إقبال مَنْ الإسلاميين المعاصرين.

* * *

استقَرَّ فى مَدْرسَةِ الإمامِ محمد عبده – وقُطْبُها هو الشيخ الجليل مصطفى عبد الرازق– أن بَعْث الفِكْرِ الفلسفى وازدهاره فى مصر والعالم العربى يَلزمه الوَفاء بشَرْطَيْن متلازمَيْن : أولهما نقل نفائس الفلسفة الأوربية مِن لُغاتها الأصلية وثانيهما نَشْر ذخائر الفلسفة العَرَبِيَّة ذاتها. ولعثمان أمين – بتوجيهٍ وتشجيعٍ من أستاذه مصطفى عبد الرازق – خطواتٌ فى ذلك مُوَفَّقَةٌ كل التوفيق، وهى عند العارفين عَلاماتٌ مُضيئةٌ فى تطور التعليم الفلسفى فى مصر والعالَمِ العربى.

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية وتاريخ العلوم – كلية الآداب جامعة القاهرة.

ففى مجالِ الترجمة استأنَف عثمان أمين – مع الزُمرة المباركة من رفاقه طلائعِ الجامعيين المصريين أمثال محمود الخضيرى ونظمى لوقا وعبد الرحمن بدوى ومحمد عبد الهادى أبو ريده – مسيرة أسلافهم من المترجمين العِظَام فى الحضارة الإسلامية فى عصرها الذهبى طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين – التاسع والعاشر الميلاديين، ومَسيرةَ سَلَفِهم القَريب الرائدِ المُلْهَمِ رفاعة الطهطاوى وتلاميذِه البَرَرة؛ فأشرف عثمان أمين علَى سلسلةِ نَفائس الفلسفةِ الغربيَّة، وأصْدر فيها – على امتداد ثلاثين عاما – ترجماته للنصوص الفلسفية التالية :

- "دِفاع عن العِلْم" لألبير بابيه، سنة ١٩٤٦.
- "التأملات فى الفلسفة الأولى" لديكارت، سنة ١٩٥١.
- "مشروع للسلام الدائم" لإيمانويل كانط، سنة ١٩٥٢.
- "مبادئ الفلسفة" لديكارت، سنة ١٩٦٠.
- "مستقبل الإنسانية" لـ كارل ياسبرز، سنة ١٩٦٣.
- "الفلسفة والشعْر" لـ مارتن هيدجر، سنة ١٩٦٣.

كما صدرت له بعد ذلك ترجمة رائعة لكتاب :

- "فلسفة كانط" لإميل بوترو، سنة ١٩٧١.

وذلك بالإضافة إلى ترجمته البديعة لنصوص متفرِّقة من الفلسفة الكانطية فى ثنايا كتابه الرشيق "رُوَّاد المثاليَّة فى الفلسفة الغربية".

وفى مجال نشر نصوص التراث الفلسفى، أصدر عثمان أمين – فى مقتبل حياته – كتاب "إحصاء العلوم" للفارابى، وكتابَ " تلخيص ما بعد الطبيعة" لابن رُشد.

***

آثَرَ عثمان أمين – بعد أنْ أَقْدَمَ صديقُه الجسورُ محمود الخضيرى على ترجمة كتاب ديكارت "المقال عن المنهج" فى عام تخرُّجِه من كلية الآداب بالجامعة المصرية – والتى جاءت مثالاً يحتذى فى أمانة النقل ودقته، وبعد أن تَرْجَم تلميذُه نظمى لوقا "التأمُلَيْن" – الأول والثانى من التأملات الديكارتية، وراجعهما يوسف كرم فجاءت لذلك دقيقةً ورصينةَ – أنْ يكون التزامُه الواعى فى نَقْلِ الفلسفةِ الغربية مع النصِّ الديكارتى أولاً، من خلالِ مَنْهجٍ يُوجِبُ الرُّجوعَ إلى الأصلِ والإحاطةِ التَّامَة بجوانبِ فلسفة الفيلسوف.

وجاءَ منهجُه فى الترجمةِ، كما كان شأنُه فى تحقيقِ النصوص، أُسْوةً حَسَنة فى زَمانه، وصارَ دَرْسا يَنْبَغى اليَوْمَ تَدَبُّرُه؛ فقد جاءت تَرْجَمتُه واضحةً لا أَثَرَ فيها لعُجْمَةٍ أو استغلاقٍ، دقيقةً كُلَّ الدِّقَّة تكادُ عباراتُها تُضِيءُ دون صَنْعَةٍ أو تَكَلُّف، وإلى حدٍ تَنْعَدِمُ فيه المسافَةُ، المعهودةُ فى الأعمِّ الأغلبِ، بين الترجمة والتأليف. أما عن معاناته فى نقل النصِّ الفَرَنْسىِّ إلى العربية،

وتحرّيه غايةَ الدّقّةِ فى النفاذ إلى مضمونه، والتّأنّى فى اختيار الصيّاغة العربية المقابلة – وكان أستاذنا قد بلَغ شأوًا رفيعاً فى إتقان اللغتين وفى امتلاك الحسّ الفلسفى وفى الرجوع إلى كثرة نقول النص الواحد فى أكثر من لغة وفى استشارة المعاجم المتخصّصة – فإنّا على ذلك كلّه مِنَ الشّاهدين.

ترجمة "التأملات فى الفلسفة الأولى"

يقول عثمان أمين واصفا منهجه فى نقل كتاب "التأملات" :

"اعتمدتُ فى إنجاز الترجمة العربية على الأصل اللاتينى الذى كتبَه ديكارت ونشره فى باريس سنة ١٦٤١، ثُمَّ على الترجمة الفرنسية التى نشرها الدوق "دو لوين" سنة ١٦٤٧ (ونشرهما آدام وتانرى Ch.Adam et P.Tannerry فى المجلدين السابع والتاسع من "مؤلفات ديكارت" – باريس سنة ١٩٠٤). وقد عُنِيتُ بالرجوعِ من حين إلى حين إلى الترجمة الإنجليزية التى نشرتها "اليزابيث هولدين" و "ج.ر.ت.رُس" Elizabeth S. Haldane and G.R.T. Ross بعنوان "مؤلفات ديكارت الفلسفيّة (وظهرت طبعتها الثانية فى كامبردج سنة ١٩٣١)، كما أننى رجعت إلى ترجمة إنجليزية أخرى بقلم جون فيتش John Veitch منشورة ضمن مجموعة "إفْريمانز لَيْبَرارِى" ومعها مقدمة بقلم "لِنْدزَاى" (الطبعة الأولى سنة ١٩١٢)".

ولاشك أنَّ مثل هذه الترجمات الإنجليزية التى رَجَع إليها المترجم والتعليقات الواردة بها تثرى التَرْجَمة العربية وتزيدها وضوحا. ويُضيفُ عُثْمان أمين قائلا : "ولَمَّا كانت دراسة هذا الكتاب لا تخلو مِن صعوبة فقد بذَلْتُ جهدى فى هذه الترجمة لكى أجعلها أيْسَر فهما وأقْرَب تناولاً. ولذلك رأيتُ أنْ أضعَ لكل تَأمُلٍ تقديما خاصًا، حَلَّلت فيه موادّه ومسائلَه والمعانىَ الرئيسيَّة فيه. وقد انتفعتُ فى هذا العَمَلِ بما كتبه رابييه Rabier فى طبعته القَيِّمَة لكتابَىْ "المقال فى المنهج" و"التأملات"، وما كتبه "تُروڤْرِيز" Emile Trouverez مِن تعليقاتٍ على "التأملات الميتافيزيقية"، المنشورة فى باريس سنة ١٨٩٨. كما رأيتُ أنْ أُقَسِّمَ الفقراتِ التى يتألّف منها كُلُّ تَأمُلٍ إلى بنود ومواد وضعتُ لها أرقاما، ثم أضفتُ فى الهوامش من الشروح والتعليقات ما بَدَا لى ضروريا لإيضاحِ بعض مواضِعِ النصّ، ورأيتُ زيادةً فى البيان أنْ أضعَ فى آخرِ الكتاب جدْولاً تحليليا مُفَصَّلاً يحتوى على رءوس عناوين القضايا التى يَضُمُّها الكتاب. وقد استعنتُ فى عمل هذا الجدول بما كتبه "رينيه فيديه" René Fédé ناشر الطبعة الثالثة لكتاب التأملات التى ظهرت فى باريس سنة ١٦٧٣ (وقد وَفَّقنى الله إلى العثور فى مصر على نُسخة من هذه الطبعة القديمة النادرة)." ولا يَنسى عثمان أمين فى نِهايَةَ بَيانه هذا الإشادَةَ بجهدٍ سبَقَ لوَاحدٍ مِنْ تلاميذه، فيقول : "وأوَدُّ أخيرا أنْ أنَوِّهَ بما بَذَله تلميذى الأستاذ نَظْمى لُوقا مِن جهد فى الترجمةِ العربية التى نشرها للتأمُلَيْن الأوّلَيْن منذ بضع سنين". ثم يقول : و"قد شَرَعتُ فى ترجمة "التأملات"

استجابةً لرغبةِ أُستاذى الشيخ مصطفى عبد الرازق رَحْمةُ اللَّهِ عليه".

فهنا تقديرُ الأستاذِ لجهد تلميذٍ من تلاميذه النابهين كان له فَضْلُ السَّبْق إلى ترجمة "التأمُّلَيْن الأوَّلَيْن" – مع تقديم عن فلسفة ديكارت، وهى ترجمة راجعها على الفرنسية واللاتينية وأقرَّ نَقْلَها يوسف كرم، ونُشِرت بمدينة دمنهور سنة ١٩٤٠، وجاء عنها فى مقدمتها قول "نظمى لوقا" : "وهى والحمدُ للَّهِ إنْ لَمْ تَعْرِضْ على قُرَّاءِ العربية كتاباً مُشْرِقَ الديباجَةِ فإنها تَعرِضُ عليهم على كُلِّ حالٍ كتابا لا يَسُدُّ مكانه كتابًا كُلُّ بضاعَتِه إشراقُ ديبَاجَة.. ولَعَلَّ ديكارت لو كان حَيًّا لغفَرَلِى غرَارةَ سِنِّى وصغرِ مَدارِكى، فوقَ ما أمتازُ به من رُعونة لَمَا لِى بَهِ وبكتابه مِنْ أُلْفَةٍ .. وإنْ أفْلَحتُ أنْ أكونَ بهذا أصْغَرَ وأقَلَّ أصدقاءِ ديكارت وناقليه والمتحدثين عنه فى آفاقِ الأرض وأطباقِ التاريخ فإنى بهذا الحديث لجَدُّ فَخور، وإننى فى فَخْرِى لمُحِقٌّ". وهنا أيضا إشادَةُ التلميذِ بفَضْلِ مصطفى عبد الرازق الأُستاذ الذى رَغَّبَ تلميذَه فى ترجمةِ التأملاتِ الديكارتية. وتلك سيرةٌ عَطِرة نحنُ فى أَمَسِّ الحاجةِ إلى استعادة تقاليدِها الطيِّبَة.

* * *

وعندما كان يُقدَّرُ لعثمان أمين أن يُصْدِرَ طَبْعَةً تاليةً لنَصٍّ سَبَق له ترجمته كان يعاوِد النظَر فيه مستعينا بما تَيَسَّر له مِنْ طبعات أُخرى له أو مَصادِرَ استَجَدَّت، وذلك توخِيًّا لمَزيدٍ مِنْ التنقيح والإيضاح.

ولَمَّا كانت تَرجمة عثمان أمين لنص "التأملات" قد اعتمد فيها على النصّ اللاتينى الصادر سنة ١٦٤١ وعلى الترجمة الفرنسية التى أصدرها "الدوق دولوين" سنة ١٦٤٧ وراجعها ديكارت نفسُه وصَحَّحها بقَلَمِه، نجد المترجم يستعين بعد ذلك فى إصداره للطبعة الثانية من كتاب التأملات، بعد خمس سنوات على صدور طبعتها الأولى، بطبعة قيِّمة نشرتها الآنسة جنيفييف ليڤيس Geneviève Lewis فى باريس سنة ١٩٤٩، وهى تحتوى على النَّصِّ اللاتينى (بالحَرْفِ الكبير) تقابِلُه التَرْجَمة الفَرنْسِيَّة (بالحرْفِ الصغير) مبيِّنًا أنه انتفعَ بها فى تحديد مواضِعِ الاختلاف بين الأصلِ اللاتينى الذى كتبه ديكارت وبين الترجمة الفرنسية التى كَتَبها "الدوق دولوين"، كما انتفع بها فى إضافة بعض تعلقيات جديدة على هوامش الطبعة الأولى. ورجع المترجم كذلك إلى ترجمةٍ إنجليزية جديدة لمختارات من مؤلفات ديكارت الفلسفية صدرت فى مجلدات بقلم الأستاذ نورمان كمب سميث Norman Kemp Smith، فى لندن سنة ١٩٥٢.

وعثمان أمين يرى أن الترجمة عن الأصل الذى كتبه الفيلسوف هى المَسْلكُ الوحيدُ، المعتمدُ فى البحوث العلمية، الذى كان يحرصُ على أن يُعَلِّمَه لتلاميذه ليكون شعارُهم "عندما نترجم ينبغى أنْ تكونَ الترجمةُ عن الأصولِ لا عن ترجمات أُخرى"؛ ذلك لأنَّ الترجمة عن ترجمات أخرى قد تؤدِّى إلى البُعْدِ عن النَصِّ الأصلى وتحريفِ المعنى الذى قَصدَ المؤلفُ إليه،

ولا غَرَابةَ فى ذلك، فإنَّ المترجمَ منْ لُغَة النصِّ الأصلية (ولتَكُن اللاتينية) إلى اللغة المنقول إليها (ولتَكُنْ الفرنسية) قد يضطرُّه اختلافُ اللُّغتَين فى الصياغة والأسلوب إلى التَصَرُّف فى بعض المَواطِن، فإذا ما تناولَ التَرْجَمةَ الفرنسيةَ نفسَها مُتَرْجِمٌ آخَر، ليَنْقُلَها إلى العَرَبية مثلا، وَجَدَ نَفْسَه بدوره مُضطرًّا إلى شَيْءٍ منْ التَصَرُّفَ وهكذا منْ نَقْلٍ إلى نَقْلٍ يَقِفُ تَعدُّدُ الوسائط بَيْنَنا وبين النصِّ الأصلِى حائلاً دونَ الاتِّصال المباشرِ بالمؤلِّف نفسه".

***

ولعثمان أمين موقفٌ مِن نَقْل الاصطلاحِ الفلسفى الأجنبى بماله من خصوصيةٍ وتفرُّدٍ فى التعبيرِ عن المقاصِد العميقةِ لصاحبه؛ فنراه يحرص على إحياء المصطلح العربى القديم ما أمكن طالما كان ملائماً، وذلك تحقيقا للتواصلِ وتدعيما للهُويَّة، وعندما يَصْعُب الوصولُ إلى ترجمةٍ مطابقة لا يرى بَأْسًا من التعريب، مع الحرصِ على إثبات المقابل الأجنبى وأحيانا اليونانى أو اللاتينى أمام المصطلح المُتَرْجَم، ومع الإشارة كذلك إلى تنوُّعِ الدلالة وتَتَبُّع التطور التاريخى لهَ، ولا يفوته، كذلك - من واقع تمثُّله التَّامِ لمقاصِد الفيلسوف- أن يشرح بشيئ من التفصيل دلالة بعض المصطلحات المِحْوَريَّة فى النصِّ، والتعقيب على ما يلزمه التعقيب منها أو أنْ يُوضِّح بمزيد من التبسيط معنى مصطلح مستقر عند أهل الاختصاص، من ذلك مثلا شرحه لمصطلح "الدَوْر" بأنه : قضيتان يتوقف إثبات إحداهما على الأخرى" (ص : ٤٠). فضلا عن التعريف بالأعلام التى وردَ ذكرها فى النَصِّ فى هامش الترجمة. ولا شك فى أن مثل هذه الجهود كانت، مع نظائرها عند كبار المترجمين، هى البداية الموفَّقَة لإعداد المعجم الفلسفى الحديث فى اللغة العربية مِن بَعْدُ.

ولا يغيبُ عن أستاذِنا إدراكُ مخَاطِرِ الالتزامِ بالترجمة الحَرْفيَّة للنصوص الفلسفية، حينما تأتى الكلمة العربية فى مقابل الكلمة المنقولة من لغة أجنبية، وكيف يمكن أن يؤدى هذا الأمر إلى إجهاضِ المَعْنى عندما لاتُراعَى الخصائِصُ الفارِقَةُ بين اللغتيْن، وعندما تَغيبُ عن المترجم الرؤيةُ النسقيَّةُ لروح النص فى مجموعِه. لهذا نراه يُنبِّهُ فى هوامش الترجمة، أحيانا، إلى دوافعه فى إيثار صياغة بعينها على غيرها برغم ما يكون فى ذلك من مباينة لحَرْفيَّةِ النَصِّ المنقول. وفى أحيانٍ أُخرى نراه حريصا على إيراد ما يراه ضروريا من إيضاحات يضعها بين قوسين، وذلك دَرْءًا لأىِ التباسٍ قد يدفع إلى اعتبارها جُزْءًا من النَصِّ ذاتِه.

***

وفيما يلى مقارنةٌ نعقدها بين بعض ما جاء فى ترجمة التأمُّلَيْن الأولين التى كان لنظمى لوقا فضل السبق فى إصدارها بالعربية ونظائرها فى ترجمة عثمان أمين التالية؛ وهو ما سوف نتبيَّن معه مبلغ الدقة ووضوح البيان فى الترجمة اللاحقة، وبالطبع ليس فى إعادة الترجمة

ضرورة إلا إذا انطوت على تنقيحات ومراجعات لازمة لجودة الفهم، كما نعرض مَنْ بَعْدُ لنماذجَ من ترجمة "التأملات" الأربعة الأخيرة التى انفرد عثمان أمين بترجمتها ترجمةً بَلَغت مَبْلَغا مشهودا من الكمال.

فما وَرَد بالفرنسية :

Peu de personnes préféreraient le juste à l'utile si elles n'étaient retenues ni par la crainte de Dieu ni par l'attente d'une autre vie .

جاءت ترجمته على هذا النحو :

عند : **نظمى لوقا**

"فإن قليلا الناس كانوا يؤثرون العدالة على المنفعة لو لَمْ يردعهم خوف الله وتوقع حياة أخرى". (ص ١٠)

(والملاحظ أنها ترجمة حَرْفِيَة)

وعند : **عثمان أمين**

"فإن أغلب الناس كانوا يؤثرون سبيل المنفعة على سبيل العدالة، لو لم يَرُدُّهم خوف الله أو توقُّع حياةٍ أخرى". (ص ٣٩) وواضحٌ أن المترجمَ تَصرَّف هنا ليستقيم المعنى.

وما ورد بالفرنسية :

De plus, sachant que la principale raison qui fait que plusieurs impies ne veulent point criore qu'il y a un Dieu et que l'âme humaine est distincte du corps, est qu'ils disent que personne jusqu'ici n'a pu démontrer ces deux choses :

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"وزيادة على هذا، فقد شعرت أنَّ أهم سبب فى أنَّ **زنادِقة** كثيرين لا يريدون الاعتقاد بالله وبتمايز النفس الإنسانية من الجِسْم، هو قولهم إن إنسانا لم يستطع حتى الآن إثبات هاتين المسألتين." (ص١٣)

"على أنِّى لَمَّا كنتُ أعلَم أن الحُجَةَ الكبرى التى يستند إليها كثير مِن **الكُفار** فى رفضهم الاعتقاد بوجود الله وبتميُّز النفس الإنسانية عن البدن هى قَولُهُم بأن أحدا لم يتوصل حتى الآن إلى اثبات هذين الأمرين". (ص ٤١-٤٢)

-وما ورد بالفرنسية :-

Mais, tout ainsi que dans la géométrie, il y en a plusieurs qui nous ont été laissées par Archimède, par Apollonius, par Pappus et par plusieurs autres, qui sont reçues de tout le monde pour très certaines et très evidentes, parce que'elles ne contiennent rien qui, considéré séparément, ne soit très facile à connaîtire, et que partout les choses qui suivent ont une exacte liaison et dépendance avec celles qui les précèdent; néanmoins, parce qu'elles sont un peu longues et qu'elles demandent un esprit tout entier, elles ne sont comprises et entendues que de fort peu de personnes.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"ولكن كما أنَّ فى الهندسة أدلَّة متعددة تركها لنا أرشميدس وأبولونيوس وبابُس واخرون، يتلقاها الناس جميعا على أنها ثابتة وبديهيَّةٌ جدا، لأنها لا تتضمَّن شيئا إلاَّ وهو سَهْلُ المعرفة إذا ما نظر فيه على حدَة، وأنَّ فى جميع العلوم الأمور اللاحقة محكمة الارتباط بسوابقها، إلا أنها لكونها طويلة قليلا، وتتطلَّب كُلَّ العقل، لا يفهمها ولا يُدْركها إلا أشخاص قليلون جدا". (ص ١٤-١٥)

"ولكن كما أنَّ فى الهندسة حججا كثيرة أوردها أرشميدس وابولونيوس وپاپوس وكثيرون غيرهم، يُسلِّم بها الناس كُلُّهم ويرونها فى غاية اليقين والبداهة لأنها لا تشتمل على شيئ إلاَّ ومعرفته ميسورة جدا إذا نُظِر إليه على حدة، ولأن اللَّواحق فيها وثيقة الارتباط والاعتماد على السوابق، ولكن زيادة طولها بعض الشيئ وتطلُّبها استفراغ الذهن، حَالَ دون أنْ يحيطَ بها أو أن يَفْهَمها إلا فئة قليلة من الناس" (ص٤٣-٤٤)

- وما ورد بالفرنسية :

La première est qu'il ne s'ensuit pas de ce que l'esprit humian; faisant réflexion sur soi-même, ne se connaît être autre chose qu'une chose qui pense, que sa nature ou son essence ne soit seulement que de penser; en telle sorte que ce mot *seulement* exclue toutes les autres choses qu'on pourrait peut-être aussi appartenir à la nature de l'àme.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"الأمْرُ الأوَّل : إن فى قولنا إن الفكر الإنسانى إذ يتأمل نفسه لا يَرى إلاَّ أنه يُفكرّ، لا يلزم أن طبيعته أو ماهيته هى التفكير فحسب، بمعنى أن كلمة فحسب هذه تستبعد كُلَّ ما قد يُمْكن إضافته فوق ذلك من الخصائص لطبيعة النفس". (ص:٢٠)

"الاعتراض الأول : إن القول بأن الذهن الإنسانى يتبيَّن حين يُحيل النظرَ فى ذاته أن ذاته ليست شيئا آخر سوى شيئ مُفكِّر، لا يقتضى أن تكون طبيعته أو ماهيته محصورة فى التفكير فقط، بحيث أن لفظ "فقط" هذا يستبعد جميع الأشياء الأخرى التى قد يَصحُّ أن يُقال إنها تخصُّ طبيعة النفس". (ص : ٤٨)

- وما ورد بالفرنسية :

La second est qu'il ne s'ensuit pas, de ce que j'ai en moi l'idée d'une chose plus parfaite que je ne suis, que cette idée soit plus pariaite que moli, et beaucoup moins que ce qui est représenté par cette idée existe.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"والأمرُ الثانى : إنه لا يلزم من أن فى نفسى فكرة شيئ أكمل منى، أن هذه الفكرة أكمل منى، وأقلُّ لزوما من هذا بكثير أن ما يتمثَّل فى فكرتى هذه موجود حقا. (ص:٢١)

"والاعتراض الثانى : أنه لا يلزم من أنَّ فى ذهنى فكرة عن شيئ أكمل منى أن تكون هذه الفكرة أكمل منى، وأقلُّ لزوما من هذا بكثير أن تكون ما تمثِّلهُ هذه الفكرة موجودا". (ص : ٤٨)

- وما ورد بالفرنسية :

Mais je réponds que dans sce mot d'*idée*il y a ici de l'équivoque : car ou il peut être pris matériellement pour une opération de mon entendement, et en ce sens on ne peut pas dire qu'elle soit plus parfaite que moi; ou il peut être pris objectivement pour la chose qui est représentée par cette opération, laquelle, quoiqu'on ne suppose point qu'elle existe hors de mon entendement, peut néanmoins être plus parfaite que moi, à raison de son essence. Or, dans la suite de ce traité, je ferai voir plus amplement comment, de cela seulement que j'ai en moi l'idée d'une chose plus parfaite que moi, il s'ensuit que cette chose existe véritablement.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"ولكننى أجيب بأن كلمة فكرة هنا فيها التباسٌ : فإنها إما أن تُؤخذ على الوجه المادى بمعنى أنها فِعلٌ من أفعال **عقلى**، وعلى هذا **التأويل** لا يمكن القول بأنها أكمل منى، وإما أن تؤخذ على الوجه الموضوعى بمعنى أنها الشيئ الذى يمثله هذا الفعل، وحينئذ يمكن أن يكون ذلك الشيئ أكمل منى بالقياس إلى **ماهيتى**، ولو لم نفرض له وجودا خارج فكرى. وسأُبيِّن بإسهاب أكثر فى سياق هذه الرسالة كيف أنه من مجرد حصولى على فكرة شيئ أكمل منى، يلزم أن هذا الشيئ موجود حقا". (ص ٢٢)

"ولكننى أُجيب بأن لفظ فكرة هنا فيه التباس : لأنه إما أن تؤخذ هذه الفكرة على وجه مادى، بمعنى **عملية من عمليات ذهنى، وبهذا الاعتبار** لا يمكن أن يُقال إنها أكمل منى. وإما أن تؤخذ على وجه موضوعى بمعنى الشيئ الذى تمثِّله هذه **العملية**، وهذا الشيئ وإنْ لم يُفتَرض وجوده خارج **ذهنى**، يمكن مع ذلك أن يكون أكمل منى من **حيث ماهيته**، وسنبسط فى سياق هذه الرسالة بمزيد من الإطناب كيف أنه يلزم من أن فى نفسى فكرة شيئ أكمل منى أن يكون ذلك الشيئ موجودًا حقا". (ص : ٤٩)

- وما ورَد بالفرنسية :

Je dirai seulement en général que tout ce que disent les athées pour

combattre l'existence de Dieu dépend toujours ou de ce que l'on feint dans Dieu des affections humaines, ou de ce qu'on attribue à nos esprits tant de force et de sagesse que nous avons bien la présomption de vouloir déterminer et comprendre ce que Dieu peut et doit faire; de sorte que tout ce qu'ils disent ne nous donnera aucune difficulté, pourvu seulement que nous nous ressouvenions que nous devons considérer nos esprits comme des choses finies et limitées, et Dieu comme un être infini et incompréhensible.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"وسأكتفي بأن أذكر بوجه عام أن كل ما يقوله الملحدون لمحاربة وجود الله، يرجع دائما إما إلى أنهم يتوهمون في الله انفعالات بشرية، وإما إلى أنهم يَعزون إلى عقولنا من القوة والحكمة ما يجعلنا نزهو ونَدَّعي تحديد وفهم ما يستطيعه الله وما يجب عليه أن يفعل، بحيث أن أقاويلهم لا تقيم أمامنا أية "صعوبة"، إذا ما ذكرنا أنه يجب علينا اعتبار عقولنا متناهية محدودة، واعتبار الله كائنا لا متناهيا مُمتنع الإدراك". (ص : ٢٣)

"وإنما أقول على العموم إنّ كل ما يقوله أهل الإلحاد لنقض وجود الله يعتمد على أمرين : فإما أنهم يتوهمون في الله انفعالات إنسانية، وإما أنهم ينسبون إلى أذهاننا من القوة والحكمة ما يملؤنا زهوا، فنزعم أن في استطاعتنا أن نقف على أفعال الله وأن نُحدِّدَ ما يستطيعه منها وما يجب عليه، من أجل هذا لن نجد عناءً في نقض أقاويلهم بشرط ان نذكر أنّ من الواجب علينا اعتبار أذهاننا أشياء متناهية ومحدودة واعتبار الله موجودا لا متناهيا ولا سبيل إلى الإحاطة به". (ص : ٥٠)

- وما وَرد بالفرنسية :

Il y aura peut-être ici des personnes qui aimeraient mieux nier l'existence d'un Dieu si puissant que de croire que toutes les autres choses sont incertaines.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

" وهنا قد يُفَضِّلُ بعضهُم إنكار وجود إله له مثل تلك القدرة على الارتياب في سائر الأشياء". (ص : ٤٣)

"قد يوجد من الناس مَن يميلون إلى إنكار وجود إله له مثل هذه القُدرة أكثر مما يميلون إلى الاعتقاد بأن سائر الأشياء عارية عن اليقين". (ص : ٧٨)

- وما ورد بالفرنسية :

Mais moi, qui suis-je, maintenant que je suppose qu'il y a un certain génie qui est extrêmement puissant, et, si j'ose le dire, malicieux et rusé, qui emploie toutes ses forces et toute son industrie à me tromper? Puis-je

assurer que j'ai la moindre chose de toutes celles que j'ai dites naguère appartenir à la nature du corps? Je m'arrête à y penser avec attention, je passe et repasse toutes ces choses en mon esprit, et je n'en rencontre aucune que je puisse dire être en moi.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"ولكن أنا، ما أنا الآن، وأنا أفرض أن هناك شيطانا عظيم القدرة وخبيثا ماكرًا إن جاز لى هذا التعبير، يستعمل كل قدرته ومهارته فى خداعى؟ هل يمكننى أن أثبت أنّ لى شيئا ما من كل ما قُلت آنفا أنه يَخص طبيعة الجسم؟ إننى أتمهّل لأتأمّل، واستعرض تلك الأشياء، وأعيد استعراضها فى فكرى، فلا أجد فيها شيئا يمكننى القول بأنه لَدَىّ". (ص : ٥٢-٥٣)

"ولكن أنا مَن أكون، الآن وقد افترضت أن هنالك شيطانا شديدَ البأس أو شديد المكر والدَّهاء يبذل كل ما فى وسعه من قوة ومهارة لإضلالى؟ فهل أستطيع أن أُوكِّدَ أنى أملك صفة من جميع الصفات التى قلتُ من قبل إنها طبيعة الجسم؟ أفكر فى الأمر مَليًّا، وأجيل هذه الصفات وأديرها فى ذهنى فلا أجد منها شيئا يصح أن أقول إنه من خواص نفسى". (ص : ٩٨)

- وما وَرد بالفرنسية :

Considérons donc maintenant les choses que l'on estime vulgairement être les plus faciles de toutes à connaître, et que l'on croit aussi être le plus distinciemtent connues, c'est à savoir, les corps que pous totuchons et que nous voyons: non pas à la vérité les corps en général, car ces notions générales sont d'ordinaire un peu plus confuses; mais considérons en un en particulier.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"فلننظر إذن فى تلك الأشياء التى تُعتبر على دَأْب العامة أسهلَ وأجلَى معرفةٍ من كل ما عداها، أعنى الأجسام التى تُلْمَس وتُرَى، لا الأجسام على وجه العموم، لأن المعانى الكلية هى عادة أكثر إبهاما بقليل – فى الجزئيات – بل جِسم واحد بالذات". (ص : ٥٩)

"ولننظر الآن فى الأشياء التى يرى عامةُ الناس أن معرفتها أيسرُ وأكثر تَميُّزا مما عداها، أعنى الأجسام التى نلمسها ونراها، لا أقصد فى الحقيقة الأجسام عموما، لأن هذه المعانى العامة تحتوى عادة على قدر غير قليل من الغموض، ولكن لنقتصر منها على جسم معين فننظر فيه". (ص : ١٠٤)

- وما ورد بالفرنسية :

"; et il se rencaontre encore tant d'autes choses en l'esprit même qui peuvent contribuer a'l'éclaircissement de sa nature, que celles qui

dépendent du Corps, comme celles-ci, ne méritent qua'si pas d'être mises en compte!".

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"فوق أن فى الفكر نفسه أمورا أخرى كثيرة يمكن أن تساعد على بيان طبيعته، حتى أن التى تتعلقُ بالجسم كتلك الأشياء، تكاد لا تستحق أن تذكر". (ص : ٦٦)

"يضاف إلى هذا أن فى النفس ذاتها أشياء أخرى كثيرة قد تُعين على إيضاح طبيعتها. بحيث أن الأشياء التى تعتمد على الجسم، كتلك التى أشرتُ إليها هنا،[1] لا تستحق أن يُقام لها وزن بالقياس إليها". (ص : ١١٠)

- ومن "التأملات الديكارتية" – من الثالث إلى السادس – نُوردُ نماذَج مِن الترجمة العربية المُتْقَنَة الرائقَة والتى زادَها التعريف بالاصطلاحات الديكارتية، التى حرص المترجُم على إيرادِها فى هامش النَصِّ، بيانًا :-

- فمن ذلك ما وَرَد بالفَرنسية :

Or, entre ces idées, les unes me semblent être nées avec moi, les autres être étrangères et venir de dehors, et les autres être faites et inventées par moi-méme. Car que j'aie la faculté de concevior ce que c'est qu'on nomme en général une chose, ou une vérité, ou une psnsée, il me semble que je ne tiens point cela d'ailleurs que de ma natrue propre; mais si j'ois maintenant quelque bruit, si je vois le soleil, si je sens de la chaleur, jusqu'à cette heure, j'ai jugé que ces sentiments procédaient de quelques choses qui existent hors de moi, et enfin il me semble que les sirènes, les hippogriffes et toutes les autres semblables chimères sont des fictions et inventions de mon esprit. Mais aussi peut-être me puis-je persuader qui toutes ces idées sont du genre de celles que j'applle étrangères et qui viennent de dehors, ou bien qu'elles sont toutes nées avec moi, ou bien qu'toutes été faites par moi : car je n'ai point encore clairement decouvert leur véritable origine.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

" هذه الأفكار يبدو بعضُها مفطورًا فىَّ،[1] وبعضها غريبا عنى ومستمد من الخارج[2]،

---

(١) الأفكار الفطْرية idées innées هى أحوال ذهنية موجودة فى النفس قبل أى تجربة، ووجودها يكون "بالقوة" فإذا عرضت مناسبة من مناسبات التجربة خرجت إلى الفعل فى الوعى أو الوجدان. ومعنى كونها مفطورة أنها غريزية فى النفس وليست مستفادة من الحواس ومرجعها إلى ما فينا من قوَّة على الفكر. وتمتاز الأفكار الفطرية بوضوحها وبساطتها وشمولها؛ كفكرة الله والنفس والامتداد والزمان وغير ذلك.

(٢) الأفكار "العارضة" أو "الحادثة" idées aventices أى التى تبدو لنا أنها مستمدَّة من الخارج: كفكرة اللون والصوت والحرارة والرائحة والطعم؛ وهى أفكار غامضة مُبهمة.

والبعض الآخر وليد صُنعى واختراعى.[1] فمن حيث أنَّ لى قُوَّة على تصوُّر ما يُسَمَّى على العموم "شيئا" أو "حقيقة" أو "فكرا" يبدو لى أنى لم استمد هذه القوة إلاَّ من جبلَّتى وفطرتى الخاصة. ولكنى إذا سمعت الآن ضجةً أو رأيت الشمس، أو أحسستُ الحرارة، درجت على ما ألفتُ من الحكم بأن هذه الأحاسيس إنما تجيئ من أشياء معيَّنة موجودة فى الخارج، ويبدو لى أخيرا أن عرائس البحر الفانتات[2] والخيلَ ذات الأجنحة الطائرة، وسائر ما شاكلها من تلفيقات الخيال، إنما هى من صنع نفسى واختراعها. ولكن قد أستطيع أن أقنع نفسى بأنَّ هذه الأفكار جميعا من جنس تلك التى أسميها غريبةً عنى وآتية من الخارج، أو أنها مفطورة فِيَّ، أو أنها جميعا من صُنعى. فالواقع أنَّى لم أهتَد بعد بوضوح إلى حقيقة مصدرها".

- وما ورد بالفرنسية :

Maintenant il faut que je voie si ces raisons sont assez fortes et convaincantes. Quand je dis qu'il me semble que cela m'est enseigné par la nature, j'entends seulement par ce mot de nature une certaine inclination qui me porte à le croire, et non pas une lumière naturelle qui me fasse connaître que cela est véritable. Or, ces deux façons de parler diffèrent beaucoup entre elles; car je ne saurais rien révoquer en doute de ce que la lumière naturelle me fait voir être vrai, ainsi qu'elle m'a tantôt fait voir que de ce que je doutais je pouvais conclure que j'étais: d'autant que je n'ai en moi aucune autre faculté ou puissance pour distinguer le vrai d'avec le faux qui me puisse enseigner que ce que cette lumière me montre comme vrai ne l'est pas, et à qui je me puisse tant fier qu'à elle. Mais pour ce qui est des inclinations qui me semblent aussi m'être naturelles, j'ai souvent remarqué, lorsqui'il a été question de faire choix entre les vertus et les vices, qu'elles ne m'ont pas moins porté au mal qu'au bien' c'est pourquoi je n'ai pas sujet de les suivere non plus en ce qui regrarde le vrai et le faux.

جاءت ترجمته على هذا النحو :

"ولأبد لى الآن أنْ أرى هل فى هذه الأسباب الكفايةُ مِن القُوَّة والإقناع. إنى حين أقول إن هذا الأمر قد استفدته من الطبيعة إنما أقصد بكلمة "الطبيعة" هذه مَيْلا يحملنى على تصديقه، ولا أقصد "نورا فِطْريا" يَدُلُّنى على أن هذا حق. وهذان أسلوبان من الكلام مختلفان اختلافا شديدًا : لأننى لا قِبل لى مُطلقا أن أتشكك فى شيئ مما يرشدنى النور الفطرى إلى أنه حق، كما أرشدنى من قَبْل إلى أننى أستطيع أن أستخلص وجودى مِن شَكِّى : ذلك أننى ليس لى مِن مَلَكة أو قوة

---

(١) الأفكار "المُصْطنَعَة أو المُخْتَرَعة" idées factices هى الأفكار التى تُرَكبُها من الأفكار العارِضة كصورة حيوان نَصفُه فَرَسٌ ونصفُه إنسان وما شابه ذلك.

(٢) "عرائس البحر" – باليونانية "سيرينبس – بنات يَعِشن فى البحر، كانت لهن قدرة على أن يَسْحرن بأغانيهن الشجيَّة جميع من يسمعهن.

سواه، تجعلنى أُمَيِّز الصوابَ مِن الخطأ وتنبئنى بأن ما يُرشِدُنى ذلك النورُ إلى أنه صوابٌ ليس فى الحقيقة كذلك، وتكون عندى فى مِثل منزلته مِن تقتى. أما الميول التى يُخَيَّلُ إلىَّ أيضا أنها فطرية عندى، فكثيرا ما لاحظت حين كان لابُدَّ لى مِن الاختيار بين الفضائل والرذائل، أنها كثيرا ما كانت تدفعنى إلى جانب الشر، ولهذا لا أرى داعيا إلى اتباعها فى أمر الصواب والخطأ".

وعند هذا الموضع يُنبهنا عثمان أمين (فى الهامش) إلى مطابقة ترجمته للأصل اللاتينى على حين أن الترجمة الفرنسية فيا تحريفٌ ظاهرٌ والتواءٌ بيِّن .(١)

- وما وَرَد بالفرنسية :

Maintenant c'est une chose manifeste par la lumière naturelle qu'il doit y avoir pour le moins autant de réalité dans la cause efficiente et totale que dans son effet: car d'où est-ce que l'effet peut tirer sa réalité, sinon de sa cause? Et comment cette cause la lui pourrait-elle communiquer, si elle ne l'avait en elle-même? Et de là il suit non seulement que le néant ne saurait produire aucune chose, mais aussi que ce qui est plus parfait, c'est-à-dire qui contient en soi plus de réalité, ne peut être une suite et une dépendance du moins parfait: et cette vérité n'est pas seulement claire et évidente dans les effets qui ont cette réalité que les philosophes appellent actuelle ou formelle, mais aussi dans les idées où l'on considère sulement la réalité qu'ils nomment objective: par example, la pierre qui n'a point encore été, non seulement ne peut pas maintenant commencer d'être si elle n'est produite par une chose qui possède en soi formellement ou éminemment tout ce qui entre en la composition de la pierre, c'est –à-dire qui contienne en soi les mêmes choses ou d'autres plus excellentes que celles qui sont dans la pierre; et la chaluer ne peut être produite dans un sujet qui en était auparavant privé, si ce n'est par une chose qui soit d'un ordre, d'un degré ou d'un genre au moins aussi parfait que la chaleur et ainsi des autres.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

" لقد بان لنا الآن بالنور الفِطْرى أنه يَنبغى أن يكونَ فى العِلَّة الفاعلةِ التامةِ مِن الوجودِ قَدْرَ ما فى معلولها على أَقَلِّ تقدير : إذ مِن أين يستمد المعلولُ وجُودَه إذا لم يستمده مِن علَّته؟ وكيف يتيسَّر لتلك العِلَّة أن تَمُدَّه به إنْ لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُه هى فى ذاتها؟ ويَنتج عن هذا أُمورٌ : أن العَدمَ لا يمكن أن يُحدِثَ شيئا. وأيضا أنَّ ما هو أكمل، أى ما يحوى فى ذاته على قَدْرِ أكثر من الوجود، لا يمكن أن يكون تابعا ولا معتمدا على ما هو أَقَلُّ منه كمالاً. وهذا حق وبَديهى، لا بالقياس إلى المعلولات التى لها ذلك الوجود الذى يسميه الفلاسفة "فعليا" أو "صوريًّا" فحسب، بل إنه كذلك

---

(١) صفحة ١٤٠ من الترجمة العربية.

بالقياس إلى الأفكار التى يكون النظرُ فيها مقصورا على الوجود الذى يُسمونه "موضوعيا".[1]

فمثلا الحَجَرُ الذى لَمْ يوجَد بعد لا يمكن أن يبدأ الآن فى الوجود إذا لم يكنْ أحدثَه شيئٌ يملكُ فى ذاته، إما على جهةِ الصورة أو على جهة الشرَف، كل ما يدخل فى تركيب الحَجَر (أى أنه ينبغى أن يملكَ عَيْنَ الأشياء الموجودة فى الحَجرِ أو أشياءَ أخرى أرفع منها)[2]. والحرارةُ أيضا لا يمكن أن تتولَّدَ فى شيئ كان خاليا منها من قَبْل إلاَّ بعلَّةٍ تكون من طِراز (من رُتبة أو من جِنْس) هو على الأقل معادلٌ للحرارة فى الكمال، وقِسْ على ذلك سائر الأشياء الأخرى".

- وما ورد بالفرنسية :

Si la réalité ou perfection objective de queleu'une de mes idées est telle que je connaisse clairement que cette même réalité ou perfection n'est point en moi, ni formellement ni éminemment, et que, par conséquent, je ne puis moi-même en être la cause, il suit de là nécessaitement que je ne suis pas seul dans le monde, mais qu'il y a encore quelque autre chose qui existe et qui est la cause de cette idée; au lieu que, s'il ne se rencontre point en moi de telle idée, je n'aurai aucun argument qui me puisse convaincre et rendre certain de l'existence d'aucune autre chose que de moi-même; car je les ai tous soigneusement recherchés, et je n'en ai pu trouver aucun autre jusqu'à présent.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

---

(١) "الوجود الفعلى" réalité actuelle هو الواقعُ بالمعنى الدقيق، يَعْنى الوجودُ خارجَ الذهن أو "الوجود فى الأعيان" كَما يقول المتكلمون المسلمون، وهو ما يُطلَق عليه اليوم اسم "الوجود الموضوعى". (ص ١٤٣)
والوجود الموضوعى réalité objective فى اصطلاحِ ديكارت هو ما نسَميه اليومَ "الوجود الذهنى"، أى الشيئ من جهة أنه متصوَّر فى الذهن. (ص ١٤٢).

(٢) يُفرّق ديكارت بين الوجود "الموضوعى" objective أو الوجود "الصورى" formelle والوجود "الأشْرَف" éminente : فالوجود الموضوعى عنده هو الوجود كموضوعٍ للفكر وفى الفكر، وبعبارة أخرى هو الوجود الذهنى. وهو كما ترى مخالفٌ لما نفهمه اليَوم من لفظ "الموضوعى"؛ وفى ذلك يقول ديكارت : "أقصدُ بالوجود الموضوعى لفكرة ما، كيانَ الشيئ أو "وجوده" ممثلا بهذه الفكرة، من حيث أن هذا الوجود فى الفكرة... ذلك لأنَّ كل ما نتصوره موجودا فى موضوعات الأفكار، كل ذلك هو فى الأفكار نفسها على جهة الموضوع أو من طريق التمثل" (ديكارت : الاعتراضاتَ والردود" ضمن "مؤلفات ديكارت، طبع كوزان م ١ ص ٤٤٧).
أما الوجود الصورى أو وجود الشيئ "على جهة الصورة" Formellement فهو وجوده فى ذاته، خارج كل فكرة : ولذلك يَصح لديكارت أن يقول إن المكان موجود "على جهة الصورة" فى الأجسام، لأن المكان هو الصفة الجوهرية العامة للمادة، ولكنه موجود على "جهة الموضوع" فى فكر عالم الهندسة.
أما وجود الشيئ "على جهة الشرف" éminemment فهو عبارة عن امتلاكه كل الواقع أو كل الكمال الذي فى الوجود الصورى وزيادة عليه. وبهذا المعنى يُقال إن العالَمَ موجود فى الله على "جهة الشرف"، لأن كل ما هو فى العالم من وجود يَصدُرُ عن الله، ولكن العالمَ ليس فى الله على جهة الصورة، لأنَ العالَمَ ناقصٌ واللهَ كامل. وفيما يلى نصّ تعريف ديكارت : "يُقال على الأشياء إنها موجودة على جهة الصورة فى موضوعات الأفكار حين تكون فى تلك الموضوعات من حيث الصورة والطبيعة، ويُقال عليها إنها موجودة فيها على جهة الشرف، حين لا تكون موجودة فيها حقيقة، بل تكون أشياءَ أعلى وأكثر تفوّقا وامتيازا" ("الاعتراضات والردود "ضمن مؤلفات ديكارت طبع كوزان ، م١ ص ٤٤٨) (ص ١٤٤-١٤٥ من الترجمة العربية).

"إنه إذا بلغ الوجود أو الكمال الموضوعى لفكرة من أفكارى درجةً تجعلنى أعـرف فـى وضوح أن هذا الوجود أو الكمال ليست فىَّ على جهة الصورة أو على جهة الشرف، وبالتـالى إننى لا أستطيع أنا نفسى أن أكونَ علَّتَه؛ لزم عن ذلك ضرورة ألا أكون أنا وحدى فى العالَم، بل أن يكون هنالك موجود آخر هو علة هذه الفكرة. أما إذا لم تُوجد فى نفسى فكرةٌ كهذه، حينئذ لم يكن لَدَىَّ أى دليل كافٍ لإقناعى بوجود شيئ آخر سواى، فإنى قد عنيت بالبحث عن هذه الأدلَّة كلها فما استطعت حتى هذه الساعة أن أهتدِىَ إلى دليل آخر."

- وما ورد بالفرنسية :

Par le nom de Dieu j'entends une substance infinie, éternelle, immuable, indépendante, toute connaissance, toutepuissante, et par laquelle moi-même et toutes les autres choses qui sont (s'il est vrai qu'il y en ait qui existent) ont été créés et produites, Or, ces avantages sont si grands et si éminents, que plus attentivement je les considère, et moins je me persaude que l'idée que j'en ai puisse tirer son origine de moi seul. Et, par conséquent, il faut nécessairment conclure de tout ce que j'ai dit auparavant que Dieu exist; Car encore que l'idée de la subsatnce soit en moi de cela même que je suis une substance, je n'aurais pas néanmoins l'idée d'une substance infinie, moi qui suis un être fini, si ell n'avait été mise en moi par quelque substance qui fût véritablement infinie.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"أقصدُ بلفظ الله جوهرا لا متناهيا، أزليا مُنَزَّها عن التغيُّر، قائما بذاته، محيطا بكل شيئ، قادرا على كل شيئ، قد خلقنى أنا وجميع الأشياء الموجودة إن صَحَّ أن هنالك أشياء موجـودة. وهذه الصفات الحُسْنَى قد بَلَغت مِن الجلال والشرف حدا يجعلنى كلما أمعنتَ النظرَ فيهـا؛ قَـلَّ مَيْلى إلى الاعتقاد بأن الفكرة التى لَدىَّ عنها يمكن أن أكون أنا وحدى مصدرها. فلابـد إذن أن نستخلص مِن كُلِّ ما قلتُه مِن قبلُ أن اللَّهَ موجود؛ لأنه وإنْ كانت فكرةُ الجَوْهرِ موجـودةً فـى نفسى من حيث أنى جوهر، إلاّ أن فكرةَ جوهرٍ لا متناه ما كانت لتوجدَ لَدى أنا الموجود المتناهى إذا لم يكن قد أودعها فى نفسى جوهرٌ لا متناه حقا".

- وما ورد بالفرنسية :

Or, si j'étais indépendant de tout autre et que je fusse moi-même l'auteur de mon être, je ne douterais d'aucune chose, je ne concevrais point de désirs, et enfin il ne me manquerait aucune perfection, car je me serais donné moi-même toutes celles dont j'ai en moi quelque idée, et ainsi je serais Dieu.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"لكنى لو كنتُ مستقلاعن كل شيئ سواى، وكنتُ أنا نفسى خالق وجودى، لما كنت أشـكُّ

فى شيئ أو أشتهى شيئا، ولَمَا كنتُ بالإجمالِ مُفتقرا إلى أى كمالٍ، لأنى كنتُ أمنح نفسى كُلَّ كمال يخطر ببالى، وأكون حينئذٍ إلها".

وما ورد بالفرنسية :

Car tout le temps de ma vie peut être divisé en une infinité de parties, chacune desquelles ne dépend en aucune façon des autres; et ainsi, de ce qu'un peu auparavant j'ai été, il ne s'ensuit pas que je doive maintenant être, si ce n'est qu'en ce moment quelque cause me produise et me crée pour ainsi dire derechef, c'est-à-dire me conserve. En effect, c'est une chose bien claire et bien évidente à tous ceux qui considéreront avec attention la nature du temps, que'une substance, pour être conservée dans tous les moments qu'elle dure, a besion du même pouvior et de la même action qui serait nécessaire pour la produire et la créer tout de nouveau si elle n'était point encore; en sorte que c'est une chose que la lumière naturelle nous fait voir clairement que la conservation et la création ne diffèrent qu'au regard de notre façon de penser, et non point en effet.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

" لأنَّ زمان حياتى كلَّه يمكن أن ينقسم إلى أجزاء لا نهاية لها، كل واحد منها لا يعتمد بأى حال على الأجزاء الأخرى؛ ويترتَّب على ذلك كله أن لا يلزم مِن أنى كنتُ موجودا فى الزمان الماضى القريب أن أكون موجودا الآن، ما لم توجد فى هذه اللحظة عِلَّةٌ توجدنى أو "تخلقنى مَرَّةً ثانية" إنْ صَحَّ هذا القول، أى تحفظ علىَّ وجودى. والواقع أن مِن الأمورِ الواضحةِ البيِّنة للغاية عن كل من يمعنون النظرَ فى طبيعة الزمان، أن حفظ جوهر ما، فى كل لحظة من لحظات مُدَّته، يحتاج إلى عَيْن القُدرة وإلى عين الفِعل اللازمين لإحداثه أو لخلقه من جديد إذا لم يَعُد موجودا : فإن النورَ الفِطرى يَدُلُّنا بوضوح على أن الحِفظ والخلق لا يختلفان إلا من حيث طريقتنا فى التفكير لا فى واقع الأمور".

- وما ورد بالفرنسية :

Car l'erreur n'est pas une pure négation, c'est-`a- dire n'est pas le simple défaut ou manquement de quelque perfection qui ne m'est point due, mais c'est une privation de quelque connaissance qu'il semble que je devrais avior.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"... لأن، الخطأ ليس "سَلْبًا" بحتا،[1] أى ليس عَيْبا محضا أو افتقارا إلى كمال ليس من

(١) إن الجهل سَلْبٌ أو نقص فى المعرفة. أما الخطأ فشيءٌ إيجابىٌ يُضاف إلى ما فى المعرفة من نقص. (ص ١٨١).

شأنى،[1] وإنما هو "حرمان" من معرفة يبدو أنه كان من الواجب علىّ أن أمتلكها".[2]

- وما ورد بالفرنسية :

Considérant cela avec attention, il me vient d'abord en la pensée que je ne me dois pas étonner si je ne suis pas capable de comprendre pourquoi Dieu fait ce qui'il fait, et qu'il ne faut pas pour cela douter de son existence, de ce que peut-être je vois par expérience beaucoup d'autres choses qui existent, bien que je ne puisse comprendre pour quelle raison ni comment Dieu les a faites; car, sachant déjà que ma nature est extêmement faible et limitée, et que celle de Dieu au contraire est immense, incompréhensible et infinie, je n'ai plus de peine à reconnaître qu'il y a une infinité de choses en sa puissance desquelles les causes sur passent la portée de mon esprit: et cette seule raison est suffisante pour me persuader que tout ce genre de causes qu'on a coutume de tirer de la fin n'est d'aucun usage dans les choses physiques ou naturelles; car il ne me semble pas que je puisse sans témérité rechercher et entreprendre de découvrir les fins impénétrables de Dieu.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"إذا أطلت النظر فى هذا فأوّل ما يخطُر بفكرى أنه لا ينبغى أن أعجبَ لعَجزى عن أن أفهم سرَّ صنع الله لما صنع، كما أنه لا ينبغى أن أشك فى وجوده، لأنى ربَّما أجدُ أشياء كثيرة لا أفهم كيف خلقها الله. وذلك أنى لما كنتُ أعلم أن طبيعتى ضعيفة محدودة للغاية، وأن طبيعة الله واسعة لا متناهية ولا يمكن الإحاطة بها، فقد تَيَسَّر لى الآن أن أتبيَّن أن فى مقدوره أشياء كثيرة لا حصر لها وتتجاوز نطاق عقلى. وهذا الاعتبار وحده كافٍ لإقناعى بأن ما اصطُلحَ على تسميته بالعلل الغائية لا مَحَلَّ للبحث عنه فى الأشياء الفيزيقية أو الطبيعية: إذ يلوح لى أنَّ الخوضَ فى غايات اللّه ومحاولة الكشف عن أسرارها جراءةٌ عليه سبحانه".

- وما ورد بالفرنسية :

En suite de quoi, venant à me regarder de plus près et à considérer quelles sont mes erreurs, lesquelles seules témoignent qu'il y a en moi de l'imperfection, je trouve qu'elles dépendent du concours de deux causes, à savior, de la faculté de connaître, qui est en moi, et de la faculté d'élire ou bien de mon libre arbitre, c'est-à-dire de mon entendement, et ensemble de ma volonté.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

---

(١) لأنى كائن ناقصٌ والكمالُ للّه وحده. (ص ١٨١).

(٢) قصد ديكارت أن يقول إن "السَّلْب" البحث هو نقصان شيئ ليس من لوازم الموضوع فلا ينتج عنه عبث فيه، ولا داعى لأن نلتمس له علّة إيجابية، أما "الحرمان" فهو نقصان فى صفة هى من لوازم الموضوع، فهو لذلك يجعل الموضوع ناقصا فى نوعه . (ص ١٨١).

"ونظرتُ حينئذ إلى نفسى نظرةَ تعمُّقٍ واستقصاء، وأخذتُ أتحرَّى عن خطئى الذى يَـدُلُّ وحده على أن فىَّ نقصاً، فوجدتُ أنه يعتمد على اشتراك علَّتيْن هما : قدرتى علـى المعرفـة، وقدرتى على الاختيار، أو حرية الحُكْم، أعنى ما لَدَىَّ مِن قوة الفهم والإرادة معا".

- وما ورد بالفرنسية :

Je ne puis pas aussi plaindre que Dieu ne m'ait pas donné un libre arbitre ou une volonté assez ample et assez parfaite, puisqu'en effet je l'expérimente si ample et si étendue que'elle n'est renfermée dans aucunes bornes.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

" ولا يَصحُّ كذلك أن أشكو مِن أن الله لم يَهبْنى حريَّة اختيارٍ أو إرادةً ذات حَظٍّ كافٍ مـن الرحابة والكمال. فالواقع أن تجاربَ وجدانى تشهد بأنَّ لى إرادةً ضافية مترامية لا تحصـرها حدود ولا تحبُسها قيودٌ".

- وما ورد بالفرنسية :

D'où est-ce donc que naissent mes erreurs? C'est, à savior, de cela seul que la volonté étant beaucoup plus ample et plus étendue que l'entendement, je ne la contiens pas dans les mêmes limites, mais que je l'étends aussi aux choses que je n'entends pas; auxqelles étant de soi indifférente, elle s'égare fort aisément, et choisit le faux pour le vrai et le mal pour le bien: ce qui fait que je me trompe et que je pèche.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"وإذن فما مَنْشأُ الخطأ عِندى؟ إنه ينشأ مِن أن الإرادة أوسع من الفَهْم نطاقا، فـلا أبقيهـا حبيسة فى حدوده، بل أبسطها أيضا على الأشياء التى لا يحيط بها فهْمى، ولمَّا كانت الإرادة مِن شأنها ألا تبالى، فمن أيْسَر الأمور أنْ تَضِلَّ وتختار الزلل بدلا مِن الصواب، والشر عِوَضاً عن الخير، مما يوقعنى فى الخطأِ والإثمِ".

- وما ورد بالفرنسية :

Mais j'ai tout sujet de lui rendre grâces de ce que ne m'ayant jamais rien dû, il m'a néanmoins donné tout le peu de perfections qui est en moi, bien loin de concevior des sentiments si injustes que de m'imaginer qu'il m'ait ôté ou retenu injustement les autres perfections qu'il ne m'a point données.

Je n'ai pas aussi sujet de me plaindre de ce qu'il m'a donné une volonté plus ample que l'entendement, puisque, la volonté ne consistante que dans une seule chose et comme dans un indivisible, il semble que sa nature est telle qu'on ne lui saurait rien ôter sans la détruire; et, certes, plus elle a d'étendue, et plus ai-je à remercier la bonté de celui que me l'a donnée.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"ولكن الخليقُ فى من كل وَجْه أن أشكره تعالى على نعمائه إذْ رزقنى كُلَّ ما اتصفت بـه من كمالات يسيرة دون أن يكون لى عليه فَضلٌ، وينبغى أن أباعد بين نفسى وبين أن أتوهَّمَ أنه ظَلَمنى فانتزع منى أو مَنَع عنى الكمالات الأخرى التى لم يُنْعِم بها علَىَّ.

وليس يَحقُّ لىِ أيضا أن أشكو من أنه وهبنى إرادةً أوسعَ نطاقا من الذهن؛ فمـا دامـت الإرادة عنصرا واحدا وشيئا لا يتجزأ، فيبدو أنَّ من طبيعتها أنه لا يمكن انتزاع شيئ منها إلاَّ إذا كان فى ذلك قضاءٌ عليها كلها، ولا شُبهة أنه يجب علَىَّ أن أجْزِلَ الشكرَ لمَنْ أنعم علَىَّ بها بقدر ما بَسَطَ لِى من رِحابِها".

- وما ورد بالفرنسية :

Car, ayant accoutemé dans toutes les autres choses de faire distinction entre l'existence et l'essence, je me persuade aisément que l'existence peut être séparée de l'essence de Dieu, et qu'ainsi on peut concevoir Dieu comme n'étant pas actuellement. Mais néanmoins, lorsque j'y pense avec plus d'attention, je trouve manifestement que l'existence ne peut non plus être séparée de l'essence de Dieu que de l'essence d'un triangle rectiligne la grandeur de ses trois angles égaux à deux droits, ou bien de l'idée d'une montagne l'idée a d'une vallée; en sorte qu'il n'y a pas moins de répugnance de concevoir un Dieu, c'est-à-dire un être souverainement parfait, auquel manque l'existence, c'est-à-dire auquel manque quelque perfection, que concevoir une montagne qui n'ait point de vallée.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"ذلك أن اعتيادى فى سائر الأشياء الأخرى أن أُميِّزَ بين الوجود والماهية؛ فقد يَسَّـر لـى الميلَ إلى الاعتقاد بأن الوجود يمكن أن ينفصل عن ماهية الله؛ وأننا لذلك نستطيع أن نتصـوَّر اللَّه غير موجود فى الواقع. ولكنى حين أفكر فى الأمر بمزيد من العناية، أرى بجلاء أن الوجودَ لا يمكن أن ينفصل عن ماهية الله، كما لا يمكن أن ينفصلَ عن ماهية مثلث مستقيم الأضلاع أن زواياه الثلاث مساويةٌ لزاويتيْن قائمتيْن؛ وكما لا يمكن أن تنفصل فكرة الوادى عن فكرة الجَبل. لهذا لا يكون تصوُّرُنا إلها – أى موجودًا مُطلقَ الكمال – ينقصه الوجود أى ينقصه كمالٌ مـا، أقلَّ تناقضا من تصوُّرنا جبلا غيرَ ذى واد".

- وما ورد بالفرنسية :

Et je ne dois en aucune façon douter de la vérité de ces choses-là, si, après avoir appelé tous mes sens, ma mémoire et mon entendement pour les examiner, il ne m'est rien rapporté par aucun d'eux qui ait de la répugnance avec ce qui m'est rapporté par les autres. Car de ce que Dieu n'est point trompeur, il suit nécessairement que je ne suis point, en cela, trompé; mais,

parce que le nécessité des affaires nous oblige souvent à nous déterminer avant que nous ayons eu le loisir de les examiner si soigneusement, il faut avouer que la vie de l'homme est sujette à faillir fort souvent dans les choses particulières, et enfin, il faut reconnaître l'infirmité et la faiblesse de notre nature.

وجاءت ترجمته على هذا النحو :

"وينبغى ألاَّ أشكَ مطلقا فى حقيقة تلك التمثُّلات، إذا أهَبْتُ بجميع حواسى وذاكرتى وإدراكى لاختبارها، فلم يَنْقِلْ إلىَّ أحَدُها ما ينافى ما ينقله إلىَّ سائرها : لأنه يلزم من أن اللّه ليس بمُضلٍّ أنىّ لا أكون فى ذلك من الضالين.

ولما كانت ضرورة الأعمال كثيرا ما تقضى علينا أن نَبتَّ فى الأمور قبل أنْ يتيَّسر لنا الوقت الكافى لاختبارها بما ينبغى من عناية، فلا بد من الإقرار بأن حياةَ الإنسان عُرْضةٌ فى أغلب الأحيان للزلل فى الأشياء الخاصة، ولابد آخر الأمر من الإقرار بقصور طبيعَتِنا ووَهنِها"

* * *

فى مثل هذا النماذج السابقة من "التأملات فى الفلسفة الأولى" – التى استطردنا فيها بعضَ الشيئ – تتجلَّى دقةُ التعبيرِ ووضوحُه وسلامة الأسلوب ونصاعته، وكأن هذا النصَّ المنقول مكتوبٌ أصلاً بالعربية.

"ذلك فَضلُ الله يُؤتِيه مَن يشاء واللَّهُ ذو الفَضلِ العظيم".